ثلاثية " العلم – الدين – التطرف العنيف ": أفكار إستراتيجية

م. د زهراء حسن كاظم

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

zahraa23@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

لا نجافي الحقيقة في القول: ان الدولة لم تلد الا وهي فاعلة، ليس لأنها قابضة على السلطة العليا بل لأنها مكّمن القدرة اللازمة لأداء الوظائف التي أنشئت من اجلها، وقد تداخلت هاتين المهمتين الى درجة كبيرة حتى بدت الواحدة تديم وجود الأخرى ضماناً لعيش الشعوب وقد أستوت تمارس وجودها بعد ان صنعتهُ بأيديها. تستند في أدائها الى مجموعة من التلاقحات الظرفية بين المحلي والعالمي. وإذ نتفهم ان انتشار العنف الدولي الذي يتشظى، أوجه عدم المساواة تزداد اتساعاً، قضايا شائكة اجتماعية وبيئية لم تسلك طريقها للمعالجة. وهو ما جادل به بيتر سينجر "**بأن النتيجة المنطقية لجعل كل الناس متساويين الكونية او – الكوسموبوليتية – إضافة الى السعي لتحقيق أكبر سعادة جماعية – النفعية- هو ان يمنح المحظوظ اقصى ما يستطيع الى أولئك الأقل حظاً، بغض النظر عن منطقتهم الجغرافية او مواطنتهم** " .

الكلمات المفتاحية: إستراتيجية ، الدين ، التطرف العنيف ، العلم .

المقدمة:

اخذت جميع الدراسات بالتحقق من مسؤولية صناع القرار في كل ما جرى على الأقل منذ نهاية الحرب الباردة، مادام أدائهم ظل جامعاً لكل علائق الاتصال والتواصل مع ما يسود العالم من ظواهر مجتمعية متعددة الابعاد، ومسؤوليتهم عن تواري مظاهر الاتزان في رؤاهم وتالياً في افعالهم، وصولاً الى فقدانهم الاهلية اللازمة للممارسة المهنية المطلوبة للحفاظ على العالم، رغم إقرار تلك الممارسة ضمنياً بأنماط اثراء ذاتية لمعطياتها التنفيذية. اذ الامر لا يتعلق بأن متغيرات تكنولوجيا الاتصالات جعلت من المحال تحقق القيادة الملهمة والتفكير العميق في النظام العالمي، ولكن أصبح على القادة ذوي الفكر ان يناضلوا ضد التيار في عصر كل متغير يتغذى على الاخر ويتأثر به.

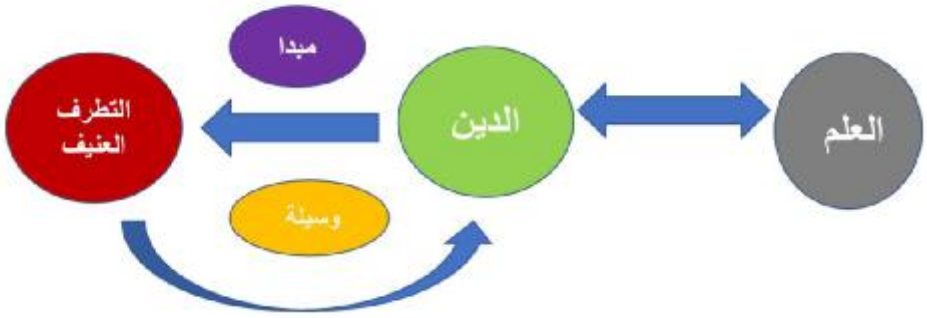

المخطط من اعداد الباحث.

فروض ورقتنا البحثية: هي أن أفضل أنواع الامتياز الذي تنالهُ دولة ما هو بالضبط جهدها في فك شيفرة أو لغز الأهداف كما يجب عليها أن تكون بلحظتها التأريخية وبالنمط المميز لعصرها خاصة في ظل حيوية الافكار الآتية:

<u>الفكرة الإستراتيجية الأولى</u>: اقلهُ، لبعض الوقت، تفوقت ضرورات الجغرافيا السياسية على الأيديولوجيا _ **الدين**_ مثلهُ: التعاون العسكري العملي العثماني الفرنسي مع السلالة الصفوية في أيران "بلاد فارس" في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر.

الفكرة الإستراتيجية الثانية: في زمننا هذا: يبدو الشرق الأوسط محكوماً بقدر اختبار جميع تجاربهُ التأريخية على نحو متزامن – تجارب الإمبراطورية، الجهاد " الحرب المقدسة" ، الأدارة الأجنبية ، الحرب الطائفية " من الجميع ضد الجميع " قبل أن يتوصل الى مفهوم ثابت للنظام العالمي ، والى أن ينجز ذلك ، سيبقى الإقليم مشدوداً بالتناوب نحو الالتحاق بركب الآسرة العالمية والكفاح ضدها . كتب فوكاياما يقول " **تشكل الطبيعة البشرية الأنماط المحتملة للأنظمة السياسية وتقيدها، لذا فأن اية تقنية تتمتع بقدر من القوة يكفي لأعاده تشكيل ما نحنُ عليه بالفعل سيكون لها تأثيرات محتملة على طبيعة السياسة ذاتها** ".

الفكرة الإستراتيجية الثالثة : بديهياً: الأديان ترغم المجتمعات الحديثة -**أستجابةً لسيرورات العلم** -على التفكير علناً وجماعياً في بناها المعيارية ، عبر دخول هذه الأديان النطاق العام وتحفيزها للنقاشات العامة وانتقادها لبعض المسائل ، وبالطبع لا يجدر بالمرء التقليل من الاخطار التي تحدق بالبنى المعيارية الحديثة جراء انكفاء تقليدي او مشروع إصلاح اصولي ، بيد ان الأديان والتقاليد المعيارية في خضم دخولها الى النطاقات العامة والحديثة ، تجد نفسها هي الأخرى مرغمة على مواجهة البنى المعيارية الحديثة ، وربما الى التوصل الى اتفاقات معها ، وقد تسمح مثل هذهِ المواجهة العامة بالعقلنة الانعكاسية للعالم وتمهد الطريق امام مأسسة سيرورات من العقلنة العملية . كما هو الحال في التعبئة البروستانتية الأصولية والتعبئة الكاثوليكية ضد قضايا الإجهاض.

الفكرة الإستراتيجية الرابعة: تشتمل العلاقة الجدلية " **الديالكتيكية** " لقوتين أو مفهومين يحددان بعضهما تشاركياً وفي الوقت نفسهُ، وبالتالي يجب فهمها -**الدين والتطرف العنيف** - بالنسبة الى بعضهما وليس بمعزل عن بعضهما. حتى نظّمت العلاقات الدولية وفق لمعادلة " **الأخلاق والقانون**" والتي تعرف استراتيجياً " **العواقبية الفاضلة** " اعتماداً على إجراءات استثنائية.

الفكرة الإستراتيجية الخامسة : كون الاجتهاد التأويلي **الهرمنوطيقا** _ يفضي الى خلق قيم ثقافية جديدة لا يعني انهُ ليس موضوعياً، هنا نستطيع ومن زاوية معينة ان نقارن بين الاجتهاد التأويلي وبين الاكتشاف العلمي " التقني" فقبل الاكتشاف لا يكون الواقع ماثلاً امامنا ، غير ان لم يكن ليراهُ-صانع القرار - او ليفهمهُ ، او لم يكن ليحسن استخدامهُ ، كذلك فأن التأويل الخلاق يكشف عن مغازٍ ودلالات لم تكن لتدرك من قبل ، او انهُ ليبرزها بصوره فاقعه ، بحيث لا يعود الوعي بعد الاستيعاب لهذا التأويل الجديد مثلما كان قبلهُ .

المخطط رقم (١)

يوضح الهرمنوطيقا لأكسندر دوغين

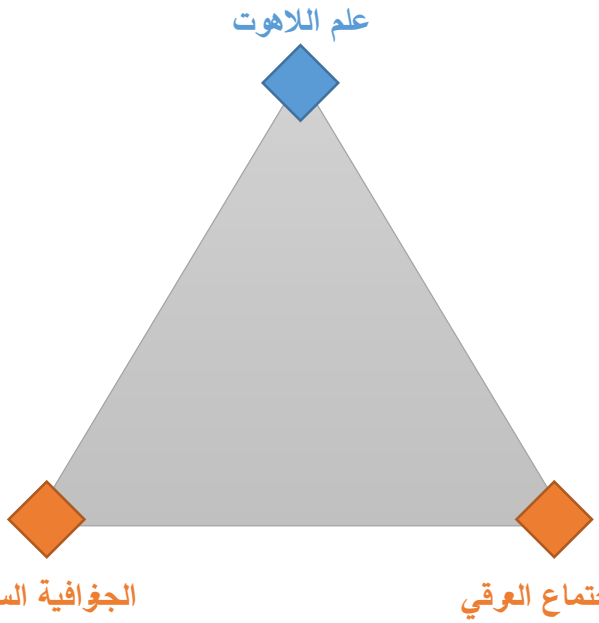

المخطط من إعداد الباحث استناداً إلى: -

المصدر: - الكسندر دوغين ، النظرية السياسية الرابعة: روسيا والاحتكار السياسة في القرن الحادي والعشرين ، ط١ ، ترجمة: مازن محمد نعناع ، دار عدنان ، بغداد ، ٢٠٢٣ ، ص ص ١٦٣ – ١٦٤.

الفكرة الإستراتيجية السادسة: ولعل نجاح العديد من الامبراطوريات وبقائها بشكل جزئي يرجع الى تمكنها من ابتكار المكّنات التي تتصدى للقوى الطاردة، وانجع الأدوات: أنشاء الولاء لدولة مترامية الأطراف، بيروقراطية مركزية، ودين شامل " **أيديولوجية وطنية**" والسمة المشتركة لهاتين الاداتين انهما تمنحان الجماعات التي يمكن ان تنفصل حصة في النظام الواسع وهويته.

المخطط رقم (2) يوضح الهومنوطيقا والنمو

المخطط من اعداد الباحث استناداً إلى:

Source: Sascha O. Becker and Others، Religion and Growth، Discussion Paper series، center for Research and Analysis of migration، Berlin، 2024، P.P 1 – 56.

الفكرة الإستراتيجية السابعة: وبأفكار عّدت مكملة باتجاه مناقض للفكرة الواردة أعلاه كُ ب ذات مرة " ..... **يوجد اذن خطر جدي من انهُ بمرور هذا القرن، ستخضع الثورة في مجال التكنولوجيا الحيوية مجموعة كاملة من المعضلات الدينية الفلسفية غير المتوقعة، ويمكن ان تتعرض الردود التقليدية للأديان الكبرى، إضافة الى المبادئ الديموقراطية التقليدية، الى تحدٍ كبير**". **يضاف الى ذلك:** ان الخصائص النمطية للنوع والمشتركة بين جميع البشر بوصفهم بشراً، وهذا هو في النهاية ما يتعرض للخطر في خضم الثورة التقنية الحيوية، حيث وشائجية الارتباط بين الطبيعة البشرية والأفكار البشرية حول: الحقوق، العدالة، الفضيلة . تلك وجهه النظر التي تبناها الموقعون على اعلان الاستقلال، ضمن اخرين بوجود حقوق طبيعية، أي تلك الحقوق التي تمنحها طبائعنا البشرية، وهي الفكرة المفضية للتقاطع بين" **العلم والدين** ".

<u>الفكرة الإستراتيجية الثامنة</u>: ولأن الشغل الشاغل الأول للدول الحصول على اكبر قدر من القوة بما يحفظ مكانتها في النظام، فأن التضاد المفاهيمي للدين امام بناء الأمة في مرات معينه يقابلهُ توليد الالتحام الداخلي للأمة أمام أي أخطار خارجية، أضافة إلى آخذهُ عنصر تفكك أمام الأمم الأخرى في توليد التلاحم المشترك بين الدول والأمم المجاورة لها . بالاستناد الى عدة قوى -قوى الشد والجذب - في كتابه **الوجيز في تاريخ الأديان** عرض " **بيار داينال**" مهمات علم الأديان مقترحاً خطأ عاماً لما اسماه " **فينومينولوجيا الدين** " ، وقد انطلق من تقسيمات " **هيغل** " ومصطلحاتهُ ليوصف الدين انطلاقاً من توجه وتجربة ومقاصد وغايات المتدين ذاته أي الجوهر والتمظهرات.

المخطط رقم (3) القوى المحددة لفينومينولوجيا الدين

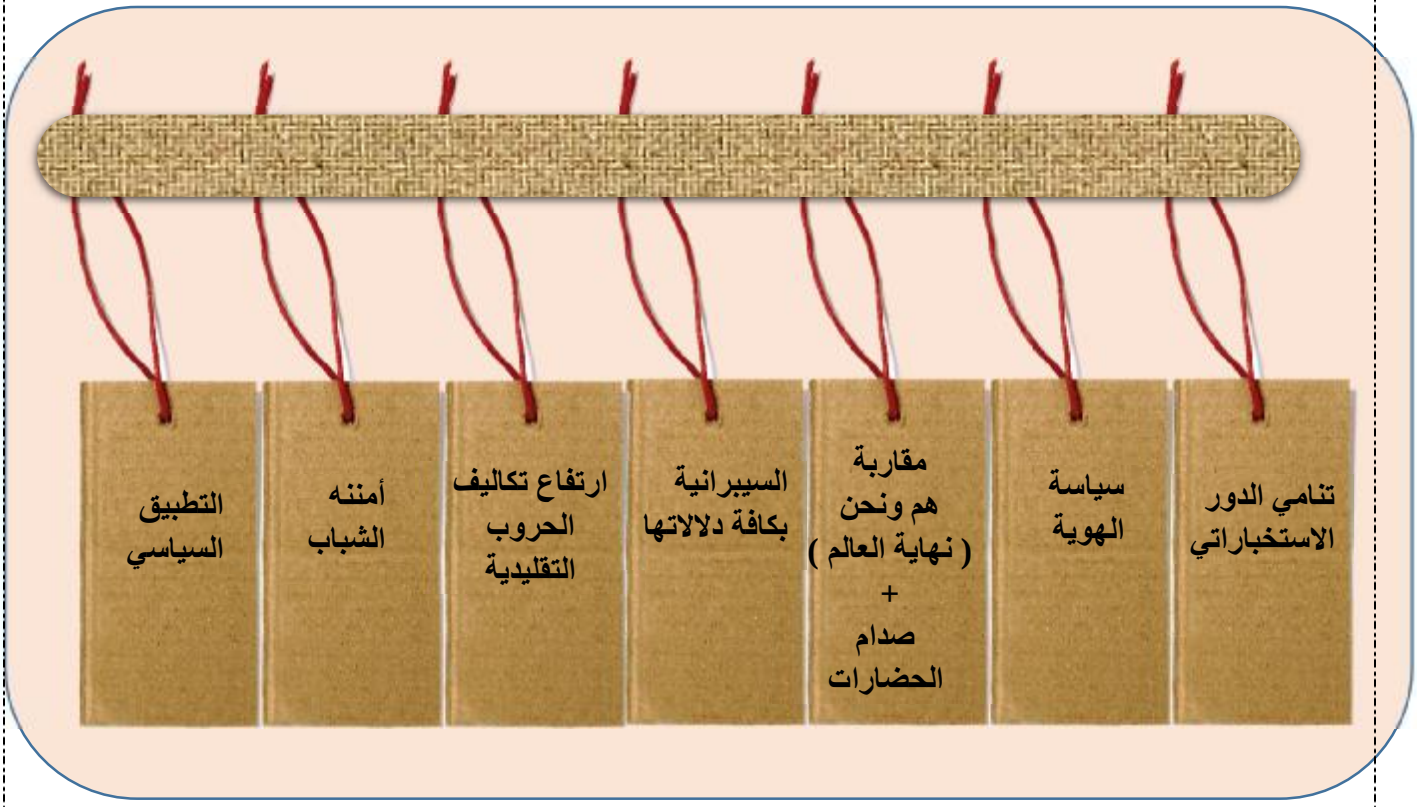

المخطط من أعداد الباحث.

ولذا فأن التطرف هو الذهاب الى الحد الأقصى في استنتاج ما يجب استنتاجهُ من التضارب بين الفكرة والواقع القائم، ويذهب الاستنتاج الى أقصاه من دون أخذ أي شيء آخر في الحسبان ، أي ان تطرف الفكرة سواء اكانت دينية او قومية او طبقية ، ام رأسمالية ام اشتراكية ، يجعلها مطلقة الى درجةِ رفعها فوق العوامل الأخلاقية ، ان أطلاقية الهدف هي التي يفترض ان تحل محل الاخلاق هنا . فالدين طبقاً لتلك الدراسات لا يتبع الاخلاق، بل ان تنفيذ تفسيرات جماعية محددة للدين، والسلوك بموجب هذهِ التفسيرات هو الاخلاق. حتى لو كان تنفيذها يعني التغاضي عن الاخلاق، واستخدام كل الأساليب التي ينهى عنها الدين ببعده الأخلاقي، فهنا لا يكتفي بالفصل بين السياسة والأخلاق، او بين الدين والأخلاق، بل تعّتمد منظومة أخلاقية جديدة يحكمها الهدف الأسمى.

اما التنظير للتطرف اجتماعياً تولى مهمتهُ "**مارتن شو**" أذ أن التنظير للمخاطر المتعلقة بأشكال العنف المنظم يعني إفشال عملية صنع القرار، والجهات الفاعلة المعنية وأهدافها ووسائلها وذلك لتحديد الضرورات المتنافسة ضمن صدام ثقافات المخاطر، تحليلاً يقود هذا الهدف "**بيك**" الى التمييز بين الحرب القديمة والجديدة والافتراضية خطر الإرهاب والتطرف المعولم.

وفي انتقاله تاريخية حاسمة بدت الكثير من الدراسات ومراكز الأبحاث التي اهتمت برصد احداث ١١ أيلول / ٢٠٠١ وتجلياتها، نحو رؤية التطرف بدلالة الإرهاب من بوابة التماثل بينه وبين الإسلام* كونها متغيران يستدعيان فهماً دقيقاً لمسار تطورات الاحداث وأدراك دافعها وسبر اغوارها تاريخياً وصولاً الى قياس تأثير ذلك على طبيعة التغييرات التي شهدها العالم وفواعلها." **أن الية منع ومكافحة التطرف العنيف لا تعتبر أداة لمكافحة الإرهاب بل خياراً متوازياً ومكملاً في السياسات التي تتعامل مع الأنشطة القلقة** "..

على أية حال، التأثير المؤتلف لليقظة الجيوسياسية العالمية والتكنولوجيا الحديثة مع تسارع التاريخ السياسي، هذهِ الثلاثية هي الفكرة المعنونة لحقيقة ان تفوق أي قوّة سيخضع لضغط متزايد من اجل التكيف والتغير والالغاء في نهاية المطاف.

الفكرة الإستراتيجية التاسعة: "العلم سوف يستمر في تعزيز قدرة البشر على القيام باعمال التدمير الذاتي التي قد لا يمكن لمجتمع منظم ان يكون قادراً على منعها او احتوائها على الدوام " . حيث اخذ العلم يضاعف الوسائل، المتغيرات، والشعاع التدموي، وعدد اللاعبين

القادرين على التخطيط لأعمال العنف. وهو ما جعل العلم يعمم قابلية التعرض للخطر حيث " سهولة الاستثمار في الشركات الاقتصادية العالمية، العملات المشفرة، التجنيد الالكتروني، سهولة التنسيق الإستراتيجي بين الشبكات الإرهابية " لتغدو مسارات التوجه نحو الإرهاب تشكلاً ومعالجه نتاج مزيج معقد من الوسائل المتضمنة عوامل دفع / جذب متعددة. محصلتها: الملامح **غير التقليدية للتطرف.**

الفكرة الإستراتيجية العاشرة : ان الرهان على التسلح الذي كان سائداً في ظل شروط تكافؤ القوى التقليدي حّول الى رهان بين الابتكارات التكنولوجية اولاً، والابداعات الإستراتيجية ثانياً. ولهذا السبب ذاتهُ فان المخاطر التي تحف بالامبراطوريات _اشارةً الى القوى الكبرى وتحديداً الولايات المتحدة _ لم تعد تكمن في خطر غزو أراضيها، بل صارت تكمن في الأعباء المالية في المقام الأول. بعد ان حول المرء "**الطرف الأضعف** " بهجومه الإرهابي، مواطن القوة في الإمبراطورية الى مواطن ضعفها، تحول ضعفهُ هو نفسه الى قوة تفوق في حربه ضد الإمبراطورية. ليكون الإرهاب مغيراً لمعادلات:

- ✓ الربح والخسارة.
- ✓ الهجوم والدفاع.
- ✓ القوة والضعف.

لا مندوحة عن أن القدرة على التدمير تفوق القدرة على السيطرة، ووسائل التدمير متاحة أكثر امام مزيد من الفاعلين، سواء أكانوا دولاً ام حركات سياسية، ومع تحول الامن المطلق للقلّة الى امن نسبي للجميع، فأن انعدام الحصانة الجماعية تقدم حافزاً كبيراً للحاكمية الذكية والتعاونية التي تعززها قوة ينظر اليها انها تدّعي العلاج الذاتي في عالم متنوع دينياً. وهي المقاربة التي تجمع ثلاثية " **الخطر، الدين، الثقافة** " في بودقة واحدة.

الجدول رقم (٢) يوضح الصراع الطائفي كنتيجة للدين والتطرف

	الدافع	تزايد خطر الصراع الطائفي	تراجع خطر الصراع الطائفي
١)	الهوية الذاتية	هيمنة الهويات الطائفية.	هيمنة الهويات غير الطائفية (ولاءات وطنية ، محلية ، طبقية ...).
٢)	طابع الخطاب الديني	يروج الزعماء الدينيون لعلاقات عدائية بين الطوائف.	يدعون الزعماء الدينيون الى تقبل الطوائف والديانات الأخرى.
٣)	الدول الإقليمية	تفرض الدول الإقليمية أجندة طائفية.	تعمل الدول الإقليمية على الحد من الطائفية.
٤)	نوعية الحوكمة	تعجز الدول عن توفير الخدمات الأساسية أو تمييز عند تقديمها الخدمات بناء على الانتماء الطائفي.	تقدم الدول حوكمة رشيدة دون تمييز بين الطوائف الدينية .
٥)	الظروف الاقتصادي	يغذي الضغط الاقتصادي الانقسام وتشعر الأقليات بانها محرومة اقتصاديا.	يخفف النمو الاقتصادي من الضغط ويتم تقاسم الأرباح.
٦)	اتجاهات الصراع	يمتد الصراع في إطار معين ويغذي الصراعات في أماكن أخرى.	يحد حل الصراع من العنف مناطقياً .
٧)	الجهات الفاعلة من خارج المنطقة	الجهات الفاعلة من خارج المنطقة تفرض نفوذها من خلال سياسات الهوية.	تمنح الجهات الفاعلة من خارج المنطقة الأولوية للاستقرار.

المخطط من أعداد الباحث استناداً إلى : **الفكرة الإستراتيجية الاحدى عشر**: ووفقاً لتقنيات

Heather Williams and William Young, The Future of sectarian Relations in the middle east, perspective, Rand corporation, Santa Monica – California , 2017, P.6.

التحليل الانشائي التي طورتها مدرسة " **شيرمان كنت** " تشكل الدوافع وسيلة لتحديد الأولويات والنظر في العوامل المتعددة التي تحدد النتائج المعقولة، وتّشكل الدوافع العوامل التي ستخلف الأثر الأكبر على المسار المستقبلي للعلاقات الطائفية اقليمياً". وعلى أي حال: فأن قادة الدول

الكبرى يميلون الى تصور المصالح والمسؤوليات العالمية، ليكون التحدي المتمثل في وضع إستراتيجية متكاملة اشد تعقيداً عليهم مما هو عليه بالنسبة للدول التي ينصب اهتمامها في أغلبهُ على القضايا القومية والإقليمية المباشرة. أن أوجه التقدم التي شهدتها مجالات النمذجة والأساليب البحثية التجريبية والاختبارات الكمية الدقيقة، من قبيل نهج " **بروس بوينو دو ميسكويتا** " القائم على التوقعات، وفكرتهُ القائلة " **انهُ يمكن التنبؤ بدقة بسلوك السياسة القومية**" لم تعد تجدي نفعاً ويكفي أن نلحظ أن الحتمية الغربية بتصنيف وصبغ السلوكيات الدولية وبالصيغة العقلانية، قد آثر على أسلوب مقاربة صناع السياسات لمسألة الحدود الفاصلة. **هنا المحصلة تصب في** "**حصائل التّشكل**".

المخطط رقم (5) المنطلقات الاستدلالية لصياغة الاستراتيجيات

المخطط من اعداد الباحث استناداً إلى:

Source: Nimra Javed، Combating online violent Extremism through AI: Avenues for Pakistan، Pakistan Journal of terrorism Reasearch، Vol: 5، No:2، 2023، P.P. 1 – 21.

وفي الختام: كتب الفيسلوف الرواقي "**ابيكتيتوس**" منذ امد بعيد " **لا يمكننا اختيار ظروفنا الخارجية لكن يمكننا اختيار كيفية التجاوب معها** " ان دور القائد هو المساعدة في توجيه ذلك الاختيار والهام تنفيذه، اذ ان عادات العمل المعتدل: وبشكل أكثر تحديداً التصرف مع ضبط النفس الواجب على دوافع الفرد، المراعاة الواجبة لحقوق الاخرين، والاهتمام المعتدل بالعواقب البعيدة.

الدين قبل ويست فاليه = وسيلة قيادة الإمبراطوريات.

الدين بعد ويست فاليه= الدولة هي التي تستدعي الدين كعامل مؤثر.

التطرف العنيف = ثلاثية " النص- التفسير -المذهب"..

الدين + عوامل الشد والجذب = ثغرات أمنية = التطرف العنيف.

الدين" فكرة او مبدأ " = الإستراتيجية =عامل مؤثر – مكنة.